

ثم وذلك الاستمتاع، الملحوظ فيه تلبية الحاجة الفطرية للأسيرات أنفسهن، يمنعهن عن التبعر، كيلا يشبعنها من طريق الفوضى في المخالطة الجنسية.

وفيما إذا لا ترضى أمة تلبية الجنس مع مالكةها قد لا تُجبر على أسر الجنس هكذا، فتتزوج بمن تراه ويراه المالك صالحاً، وعلى أية حال فهذه الاستباحة بشروطها سياج على تخلف الجنس وتحرير عن حبسه.

﴿فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ (٧):

وذلك وراء الأزواج بالنسبة للشهوات الجنسية بأضلاعها الأربعة نظراً ولمساً ووقاعاً، واستيلاداً بإفراغ المنى في الأرحام دون وقاع، فإن ذلك تجاوز عن الحق المرام وخروج عن حدود الله الملك العلام.

كما ووطء البهائم أمّا ذا من غير الأزواج وما ملكت أيماهم داخل في ﴿وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ اللهم إلا نظراً ولمساً دون شهوة، بل وهما عن شهوة خارجان عن المستثنى منه، حيث الناظر إلى فرج حيوان أو اللامس له بغير فرجه نفسه لم يترك الحفاظ على فرجه، فليدل على حرمتها عن شهوة دليل آخر.

فقد حصرت حرية الشهوة في هاتين بحدودها وإياهما، فمن ابتغى وراءهما أية بغية شهوانية فقد عدا الدائرة المباحة ووقع في المحذور واعتدى على الأعراض المحترمة المحرمة غير المستحلة بنكاح ولا جهاد، وحينئذ تفسد النفس الراقية في غير مرعاها، وتفسخ حرمة العائلة المشروعة المحددة، وتفسد الجماعة المؤمنة.

٥ و ٦ - ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (٨):

والأمانات تعم أمانات الله تكويناً وتشريعاً، وأمانات الخلق حالاً ومالاً وعرضاً أمّا هي، وكذلك العهد الذي عاهد الله عليهم في فطرهم وعقولهم

وشرعتهم أو الذي عاهدوا له، أو المعاهدات بينهم أنفسهم، فالعهد كما الأمانة لزام المتعهد والمؤتمن أياً كان، اللهم إلا أمانة أو عهد في غير مرضاة الله، كسارق يأت منك على ما سرق، أو متعهد يتعهد لك أن يقترب إثماً، فالأمانات والعهود الواجبة الرعاية محدودة بحدودها دون فوضى جزاف.

وهنا النص يجمل التعبير دون تفصيل عن كل أمانة بـ «أماناتهم» وعن كل عهد بـ «بعهدهم» وعلّ الأفراد في «عهدهم» يتبنى عهد الفطرة الذي يتبناه كل عهد.

### ٧ - ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (٩):

الخشوع في الصلاة أمر، والحفاظ عليها أمر آخر بهما تكمل الصلاة ظاهراً وباطناً، قلباً وقالباً، فهنا صلاة بأصلها، وهناك خشوع فيها، وهناك شروطها من «أوقاتها وحدودها»<sup>(١)</sup> ومقدماتها ومقارناتها بقبلتها والظاهرة عن حدث، أو خبث في الأبدان والألبسة، وكل هذه ونظائرها داخلها في نطاق ﴿عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾، فـ «في» ناظرة إلى نفس الصلاة، و«على» تنظر إلى ما يحلّق على الصلاة من أوقات ومكانات ومقدمات ومقارنات.

هذا ولكن المحافظة في آية البقرة: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾<sup>(٢)</sup> وكذا الأنعام (٩٢) والمعارج (٣٤) هي أعم مما هنا حيث لم تقرر بسابقتها ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾

ولماذا الأفراد للصلاة في «خاشعون» والجمع في ﴿يُحَافِظُونَ﴾؟ علّه

(١) نور الثقلين ٣: ٥٣١ عن تفسير القمي في الآية قال: على أوقاتها وحدودها وعن الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام في الآية قال: هي الفريضة و﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٩] قال هي النافلة.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨.

حيث الخشوع هو لزام جنس الصلاة، والمحافظة هي على الجمع، سواء جمع الشروط والأجزاء، أم جمع الركعات أو الصلوات عدداً لها، أم جمع الأوقات، فالمحافظة هي عن التبعض والتفرق في الصلاة، والخشوع هو قلبها على جمعها، ثم و«في صلاتهم» هي حالة المصلي فيها و﴿عَلَى صَلَاتِهِمْ﴾ أعم مما فيها وما قبلها وبعدها.

ولقد بدأت شروطات الإيمان بخضوع الصلاة وختمت بالحفاظ عليها تدليلاً على عظيم مكانتها في بناء الإيمان، والذي لا يحافظ على صلاته كصلة دائبة بربه لا ينتظر منه أن يحافظ على سائر صلاته، وصلاته الصالحة تضمن صالح كل صلاته، حياة أدبية منضبطة على أية حال.

### ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ (١)

﴿هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ شرعة الله حيث يحملونها تطبيقاً لها ودعوة ودعاية إليها بعد نبياها، أئمة وعلماء ربانيين: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ (١).

و﴿هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ السلطة الزمنية إضافة إلى الروحية يوم الدولة الإسلامية العالمية: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (٢).

و﴿هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ بين هؤلاء وأولاء: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ (٣) ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾ (٤).

(١) سورة فاطر، الآية: ٣٢.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٥.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٣٧.

(٤) سورة غافر، الآية: ٥٣.

وعلى أية حال ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾<sup>(١)</sup> وطبعاً الأتقى منهم فالأتقى ولكي يحافظوا على وراثة الله .

ومهما كانت الوراثة الأرضية غير تامة ولا طامة لهم اللهم إلا في الدولة الأخيرة، لكنها خالصة لهم يوم القيامة، فإنهم هم :

﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾<sup>(٢)</sup> :

و﴿الْفِرْدَوْسَ﴾ هي «أعلى الجنان»<sup>(٢)</sup> و«هي مقصورة الرحمن»<sup>(٣)</sup> وهي «ربوة في الجنة وأوسطها وأفضلها»<sup>(٤)</sup> هذه! وفي أخرى أضيفت إليها الجنات مما يدل على اختصاصها من بينها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٧٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٧٨﴾﴾<sup>(٥)</sup> ويا لها من جنة «سورها نور والغرف التي فيها هي من نور رب العالمين»<sup>(٦)</sup> وكما أن النار دركات أسفلها لمن يصلونها إيقاداً لها، كذلك الجنة درجات أعلاها للمؤمنين القمة حسب الدرجات .

وتراهم عمن يرثون الفردوس؟ عن الله؟ وهو الوارث للسموات والأرض

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٢٨ .

(٢) تفسير الفخر الرازي ٢٣ : ٨٢ روى أبو أمامة عنه رضي الله عنه أنه قال : سلوا الله الفردوس فإنها أعلى الجنان وإن أهل الفردوس يسمعون أطيظ العرش .

(٣) المصدر روى أبو موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : الفردوس مقصورة الرحمن فيها الأنهار والأشجار .

(٤) الدر المنثور ٥ : ٦ - أخرج عبد بن حميد عن أنس أن الربيع بنت النضر أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابنها الحارث بن سراقه أصيب يوم بدر وأصابه سهم غرب فقالت أخبرني عن حارثة فإن كان أصاب الجنة احتسبت وصبرت وإن كان لم يصب الجنة اجتهدت في الدعاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا أم حارثة إنها جنة وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى والفردوس ربوة .

(٥) سورة الكهف، الآيتان: ١٠٧، ١٠٨ .

(٦) نور الثقلين ٣ : ٥٣٢ في من لا يحضره الفقيه في خبر بلال عن النبي صلى الله عليه وسلم يذكر فيه صفة الجنة قال الراوي فقلت لبلال: هل فيها غيرها؟ قال: نعم جنة الفردوس، قلت وكيف سورها؟ قال: سورها نور قلت الغرف التي هي فيها؟ قال: هي من نور رب العالمين» .

ولا يتحلل عن ملكه حتى يورث المؤمنين به! أم عن سائر خلقه؟ وأهل الجنة منهم يدخلونها دون توريث، وأهل النار ليس لهم منها نصيب حتى يورثوه! أهل الفردوس يرثونه عمن دونهم من المؤمنين إذ كان لهم منها نصيب إن كانوا كما هم، ويرثونه عن أهل النار إذ كان لكل منها نصيب حرماً أنفسهم منه.

فكما وراثته الأرض للمؤمنين في الدولة الحقة لم تكن إلا احتلالهم في السلطة عليها عنهم وهو حقهم بما عملوا، كذلك الجنة وأخرى: ﴿وَتُودُّوْا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup> وهذا لأهل الجنة كلهم، ولأهل الفردوس ميراثان، عمن دونهم من المؤمنين، وعن الكافرين، حيث قدر لكل نصيب لو عملوا كما عمل هؤلاء، وكذلك منازل النار «فيورث هؤلاء منازل هؤلاء ويورث هؤلاء منازل هؤلاء»<sup>(٢)</sup>.

هذا وكما يروى عن النبي ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله فذلك قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الأعراف، الآية: ٤٣.

(٢) الدر المنثور ٥: ٦ - أخرج سعيد بن منصور وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: . . . أقول وقد مضى حديث حارثة أنه أصاب الفردوس.

(٣) وفي نور الثقلين ٣: ٥٢١ عن تفسير القمي حدثني أبي عن عثمان بن عيسى عن سماعة عن أبي بصير عن أبي عبد الله ﷺ قال: ما خلق الله خلقاً إلا جعل له في الجنة منزلاً وفي النار منزلاً فإذا أسكن أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد: يا أهل الجنة اشرفوا فيشرفون على أهل النار وترفع لهم منازلهم فيها ثم يقال لهم: هذه منازلكم التي في النار لو عصيتم الله لدخلتموها، قال: فلو أن أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنة في ذلك اليوم فرحاً لما صرف عنهم العذاب ثم ينادي مناد: يا أهل النار ارفعوا رؤوسكم فيرفعون رؤوسهم فينظرون إلى منازلهم في الجنة وما فيها من النعيم فيقال لهم هذه منازلكم التي لو أطعتم ربكم لدخلتموها قال: فلو أن أحداً مات حزناً لمات أهل النار حزناً فيورث هؤلاء منازل هؤلاء ويورث هؤلاء منازل هؤلاء وذلك قول الله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾<sup>(١)</sup> الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ [المؤمنون: ١٠-١١].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَكِهٌ كَثِيرٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِلَّالِكِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُسْقِيَهُمْ مِّمَّا فِي بَطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ :

هذه واللذان بعدها هي أشمل الآيات وأجمعها تفصيلاً لخلق الإنسان تناسلياً .

أترى هذا ﴿الْإِنْسَانَ﴾ يعم الإنسان الأول وذريته؟ وليس خلق الأول مرحلياً كذريته! أم هو - فقط - ذريته؟ فما هو دور الطين في مراحل الجنينية! الإنسان هو الإنسان ككل، وخلقته من سلالة من طين يعم كل إنسان، ومفروق الطريق بينه وبين ذريته هو المرحلية الجنينية في نشوئه وارتقائه .

فالإنسان الأول مخلوق ﴿مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾ قفزة دون أن تخطو هذه المراحل، ونسله مخلوق من سلالة من طين بهذه الخطى بعد البداية حيث المنى ينتهي إلى طين.

ومهما اختلف طين الإنسان الأول عن طين ذريته في التخلق كياناً فقد يشتركان في ﴿سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾ وإن كان هنالك اختلاف بين سلالة وسلالة. وأما آية السجدة ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾﴾<sup>(١)</sup> فقد تعني ذلك البدء الخاص قفزة دون كل بدء، فهنالك بدء قريب يختص بالإنسان الأول، وهنا بدء بعيد يعم أنساً له.

ف ﴿سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾ بدءٌ للأول هي الطين الخاص الخالص المنسل من سائر الطين، المُقتفز إلى خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ دون مراحل، حيث السلالة هي المنسلّة المنفصلة خفية كصفوة مختارة، وقد انسل الإنسان - ككل - من الطين واستخرج من صفوه وسره، من خلاصته وكلاسته، حيث السلالة هي محض الشيء ومصا صه وصفوته ولبابه.

والبشرية لم تعرف حتى الآن كيف يتسلل المنى من الطين، والنطفة كيف تتسلل من المنى، اللهم إلا إشرافاً على أشرافٍ بعيدة من ذلك المنظر المبين.

و ﴿سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾ نسله، هي الخلاصة السرية المنوية المنسلّة المختارة عن صفوة المواد الطينية - أغذية وأشربة - وكلها سلالات من طين، وهنا ﴿سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾ تعني منياً يمني، وهناك تعني طينة آدم المنسلّة عن سائر الطين.

ف ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ الْأَوَّلَ ﴿١٢﴾ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ﴿١٣﴾﴾ ثم هو الإنسان دون أن يخطو مراحل.

(١) سورة السجدة، الآيتان: ٧، ٨.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ الذرية ﴿مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾ هو المني ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً...﴾ حيث النطفة مجعولة من المني، فإنها جزء من البحر المنوي.

فالطين إذاً هو المصدر الأول المتكرر ذكره في الذكر الحكيم: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾ (١) ﴿إِنَّا خَلَقْتَهُمْ مِّنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾ (٢) ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِّنْ طِينٍ﴾ (٣).

وقد يعبر عنه بالتراب وهو أصل الطين: ﴿أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ (٤) ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ﴾ (٥) ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ﴾ (٦) ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ﴾ (٧).

ولأن النطفة مخلوقة في المني كجزء منه، فالمني مخلوق من طين سلالة عنه، ولكن النطفة ليست مخلوقة ثانية مع المني، وكل ما يحصل لها بعد لمرحلة ثانية أن تجعل في قرار مكين من الرحم دون خلق لها ثان، ولذلك.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ (١٣):

دون ثم خلقنا نطفة، فإنه مخلوق عند خلق المني السلالة عن الطين ﴿أَلَمْ يَكْ نُطْفَةً مِّنْ مَّنِي يُمْنِي﴾ (٨) ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ (٤٥) ﴿مِّنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ (٩) فالنطفة تُمنى مع مني يمْنى، إذاً فليست مخلوقة منه، بل هي كائنة فيه منذ يُمنى، ثم يجعلها الله في قرار مكين.

وهكذا يقرر القرآن هذه الحقيقة الطينية للإنسان ككل ليتخذها مجالاً للتدبر في صنع الله، تأملاً في تلك النقلة البعيدة العجيبة بين الطين وذلك

- |                              |                                  |
|------------------------------|----------------------------------|
| (٢) سورة الصافات، الآية: ١١. | (١) سورة الأنعام، الآية: ٢.      |
| (٤) سورة الكهف، الآية: ٣٧.   | (٣) سورة السجدة، الآية: ٧.       |
| (٦) سورة فاطر، الآية: ١١.    | (٥) سورة الحج، الآية: ٥.         |
| (٨) سورة القيامة، الآية: ٣٧. | (٧) سورة غافر، الآية: ٦٧.        |
|                              | (٩) سورة النجم، الآيتان: ٤٥، ٤٦. |



الإنسان دون تفصيل إلا أنه على أية حال ﴿سُلِّمَتْ مِن طِينٍ﴾. والنطفة هي نقطة منوية، وهي خلية واحدة من ملايين الخلايا السابحات في البحر اللجج المنوي يجعلها الله ﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ من الرحم، محمية عن كافة الاختلاطات والاهتزازات والانصدامات وما يصيب الظهر والبطن من كدمات ورججات وتأثرات ﴿فِي ظُلْمَةٍ ثَلَاثٍ﴾<sup>(١)</sup>.

وذلك ﴿قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ مكاناً في هندسته وحرارته الخاصة، ومكانة في حراسته وحفاظته، فلا مكين أمكن منه وأمتن وأحسن تمكيناً وضيافة من ذلك المضيف المكين الأمين الرزين الرصين ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

هذه النطفة التي لا تحسب بشيء في ظاهر الحساب، الغريقة في ذلك البحر الملتطم، أنها تُجعل في قرار مكين «بما مكَّنها الله»، وأمکن لها كل شروط النمو والارتقاء، فخالق كل شيء يجعل هذه اللاشيء في صيانة كاملة لكي يخلق منه إنساناً خلق له كل شيء، فيا لهذا الإنسان النسيان من كفران بآلاء الرحمن ﴿فِي آيِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

هذا الإنسان العظيم العظيم، بكل أجزائه الجسمية، وبكل خصائصه الروحية، كان مختصراً محتصراً في تلك النطفة النقطة الهندسية، كأنها لا وجود لها فلا تُبصر إلا بالمكبرات القوية، سبحان الخلاق العظيم!

وفي التعبير عن مقر النطفة بـ ﴿قَرَارٍ﴾ مصدراً، إشارة إلى دور الرحم بالنسبة لها، كأنه لا شأن له إلا إيواها، فهو إذاً قرار لا شأن له إلا ذلك الإقرار.

ثم ﴿مَّكِينٍ﴾ تأكيداً ثانية لاستقرارها في ذلك القرار، ذي مكنة ومكانة

(١) سورة الزمر، الآية: ٦.

(٢) نور الثقلين ٣: ٥٣٤ في الكافي ابن محبوب عن رفاعة قال قال أبو عبد الله ﷺ في حديث تطور الجنين: وإن النطفة إذا وقعت في غير الرحم لم يخلق منه شيء.

(٣) سورة الرحمن، الآية: ١٣.

راقية فائقة، لا تتطرق إليها أية هجمة داخلية أم خارجية، حيث أعمق أعماق كيان الأم، مستقر قار، ذو مكان مكين لا يضرها فيه ضار.

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً...﴾:

وهي كالدودة العالقة بجدار الرحم، مرحلة ثانية جنينية لها التقدير الثاني من الدية إذا أسقطت، فللنطفة عشرون وللعقدة أربعون، وللمضغة ستون، وللعظام ثمانون، وبعد كسوها لحماً مائة، وبعد إنشائه خلقاً آخر - هو الروح - الدية كاملة، إذا كان ذكراً فألف وإن أنثى فخمسمائة<sup>(١)</sup>.

ثم بين كل مرحلتين - الدية - بحساب الرحلة، مقدرة بقدرها<sup>(٢)</sup> ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾<sup>(٣)</sup> وهكذا يكون دور الإنسان جسدياً، ثم دوره

(١) قد استفاضت الرواية على هذه التقادير في دية الجنين بمراحله.

(٢) نور الثقلين ٣: ٣٥٨ عن تفسير القمي في الآية إلى ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤] فهي ستة أجزاء وستة استحالات وفي كل جزء واستحالة دية محدودة ففي النطفة عشرون ديناراً وفي العقدة أربعون ديناراً وفي المضغة ستون ديناراً وفي العظم ثمانون ديناراً وإذا كسي لحماً فمائة دينار حتى يستهل فإذا استهل فالدية كاملة فحدثني أبي بذلك عن سليمان بن خالد عن أبي عبد الله عليه السلام قال قلت يا بن رسول الله ﷺ فإن خرج في النطفة قطرة دم؟ قال: في القطرة عشر النطفة ففيها اثنان وعشرون ديناراً قلت: فقطرتان؟ قال: أربعة وعشرون ديناراً قلت: ثلاث قال: ستة وعشرون ديناراً قلت: فأربعة قال ثمانية وعشرون ديناراً قلت: فخمسة قال: ثلاثون ديناراً وما زاد على النصف فهو على هذا الحساب حتى تصير علقه فيكون فيها أربعون ديناراً قلت: فإن خرجت متخضضة بالدم؟ قال قد علقت إن كان ماء صافياً فيها أربعون ديناراً وإن كان دماً أسود فذلك من الجوف فلا شيء عليه إلا التعزيز لأنه ما كان من دم صاف فذلك للولد وما كان من دم أسود فهو من الجوف قال فقال أبو شبل: فإن العلقه صارت فيها شبه العروق واللحم؟ قال: اثنان وأربعون ديناراً العشر قلت إن عشر الأربعين ديناراً أربعة دنانير؟ قال: لا إنما هو عشر المضغة لأنه إنما ذهب عشرها فكلما ازدادت زيد حتى تبلغ الستين، قلت: فإن رأيت في المضغة مثل العقدة عظم يابس؟ قال: إن ذلك عظم أول ما يتبدى: ففيه أربعة دنانير فإن زاد فزاد أربعة دنانير حتى يبلغ الثمانين، قلت: فإن كسي العظم لحماً؟ قال: كذلك إلى مائة قلت: فإن وكزها فقط الصبي لا يدري حياً كان أو ميتاً؟ قال: هيهات يا أبا شبل إذا بلغ أربعة أشهر فقد صارت فيه الحياة وقد استوجب الدية.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٨.